# تصرف الحكومة فى الغارات الأخيرة

## يشدد العزائم ويقوى الروح المعنوية

عادت ويلات الحرب تصيب المصريين كما تصيب أمم العالم المحاربة والمسالمة فى هذه الأيام ، بعد انقطاع الغارات الجوية فى خلال فصل الشتاء ، وإصابة المدنيين بهذا الجحيم وحشية لا شك فيها ، ولكن لم يعد يجدى أن ننعت المغيرين بالوحشية أو بما هو أشد منها ، فالحرب الحاضرة هى حرب وحشية وفناء ، وعلينا أن نواجه الحقائق الواقعة ولا نتشبث بأوهام وأحلام .

إن كل ما كسبته الإنسانية فى عشرات الألوف من السنين ، من فضائل ومبادئ ومثل ، تخسره فى هذه السنوات . ولولا أنها تخسره وتخدر عنه لما أصبحت الغارات على المدنيين عملا هينا يرتكبه المغيرون فى جميع بقاع الدنيا وضمائرهم مستريحة ونفوسهم راضية بهذا العمل الشنيع الذى تقشعر منه الأبدان .

يجب إذن أن تنصرف همتنا إلى مواجهة الغارات وإلى الاحتياط لها ، فلا نعتمد على المبادئ الإنسانية التى تحرم ضرب المدنيين ، ولا نتكل على أننا أمة مسالمة لم تعلن حربا على أحد فهى لا تنتظر من أحد الاعتداء عليها ، فالتشبث بهذه الأوهام يضرنا ولا يفيدنا شيئا ويعرضنا لأشد الكوارث المفاجئة دون استعداد ولا احتياط .

إن المحاربين اليوم لا يراعون فى خططهم أن هذه أمة مسالمة أو غير مسالمة ، ولكن يراعون فقط مصلحة خطتهم الحربية ، وحين تقتضى هذه الخطة عملا ما فهم مقدمون عليه دون أية ملاحظة لمبدأ من المبادئ الإنسانية أو لأية حقيقة من الحقائق المنطقية . وعندهم أن هذه المبادئ والحقائق بقية من عقلية قديمة لا تصلح للعهد الجديد !

وقد وقعت فى شهر أبريل بعض الغارات على مصر وبخاصة مدينة الاسكندرية ، فكان تصرف السلطات المسئولة بعد هذه الغارات مباشرة تصرفا يشدد العزائم ويقوى الروح المعنوية ويبعث إلى النفوس الثقة والطمأنينة على قدر الإمكان ، واتضح أن نظام الوقاية فى البلاد قد نضج أو كاد ، وأنه استكمل ما كان ينقصه عندما وقعت الغارات فى العام الماضى .

ويحسن أن نشير إلى النقط البارزة فى هذا التصرف المحمود ، ونبين أثرها فى خلق جو من الطمأنينة والثقة والارتياح .

أول ما تجب الإشارة إليه هو إعطاء البيانات كاملة صحيحة عن عدد المصابين وحقيقة الخسائر المادية فقد أصدرت السلطات فى أول الأمر بلاغا مبدئيا قدرت فيه القتلى والجرحى بحسب ما انتهى إليه علمها ساعة صدور البلاغ ، ثم أتبعته ببلاغ آخر فى المساء ذكرت فيه أن المعلومات الأخيرة تفيد أن عدد المصابين أكبر بكثير مما نشر ، وأعادت نشر عددهم الأخير .

هذا التصرف من أحكم التصرفات ، فالواقع أن شعور الجماهير بأن السلطات تعرض عليه الحقائق كاملة يضع حدا للإشاعات الكثيرة التى تعتمد على الخيال والمبالغات ، وقد كانت هذه الإشاعات تنتشر فى الماضى عقب كل غارة أو إنذار بغارة ، وكانت تجد لها مصدقين مهما تجاوزت الحد فى الإغراب والمبالغة ، ولكنها فى هذه المرة لم تجد نصيبا من الرواج ، فما كاد الناس يقرءون البلاغ الثانى حتى اطمأنوا ووثقوا بصحة المعلومات الرسمية ، ولم يلجئوا إلى إعمال الخيال والركون إلى الإشاعات .

وقد كانت الغلطة التى ترتكب فى الماضى هى غلطة الخوف من الجمهور وتعمية الحقائق عليه فى مثل هذه الشئون ، فاتضح الآن أن الجمهور ليس خطرا ، وأن علمه بالحقائق — مهما تكن فادحة — خير من تعميتها عليه ، وتركه للإشاعات والأقاويل . وقد اتبعت السلطات الانجليزية من قبل هذه الخطة الحكيمة فى بلادها ، فكانت خطب تشرشل وتصريحاته عن الخسائر والكوارث مثار الإعجاب والحماسة فى نفوس البريطان وغيرهم ممن كانوا يحسون فى هذه الخطب والتصريحات معنى الرجولة وقوة الثقة وجمال الصراحة .

فالآن وقد جربت السلطات المصرية هذه الخطة فأحدث عليها وعلى الجمهور يجب أن تحافظ عليها فى كل ما يجد من كوارث هذه الحرب التى تصطلى البشرية كلها ومصر أخفها نصيبا وأشدها سلاما . وعلى الجمهور بإزاء هذه الصراحة أن يعرض عن مروجى الإشاعات وأن يطمئن إلى بلاغات الحكومة ، وأن يغلق سمعه وقلبه عن ترويج الأقوال المغرضة التى يقصد منها مروجوها نشر القلق والذعر فى أنحاء البلاد .

والتصرف الثانى هو سرعة عمليات الإنقاذ ، بالقياس إلى ما حدث فى الغارات الماضية ، فلم تمض أربع وعشرون ساعة حتى تمت أعمال الإنقاذ ورفع الأنقاض ، بينما استغرقت هذه العملية فيما مضى أكثر من ثلاثة أيام .

ومرجع هذا فى الغالب إلى وفاء الاستعداد فى هذه الفترة وحسن المرانة ، وإن كان الأمر فى هذا قابلا للتحسين وللمزيد من السرعة ومن الإتقان ، فالغارات العنيفة على انجلترا وعلى ألمانيا لا تستغرق أعمال الإنقاذ فيها زمنا أطول من الزمن الذى استغرقته غارتنا القصيرة الخفيفة . والقياس مع الفارق بطبيعة الحال ، ولكن أرواح الآدميين غالية فى كل

مكان ، فيجب ألا يدخر جهد ولا مال ولا حيرة للحافظة عليها ، وفى الوسع زيادة المرانة وزيادة الاستعداد ، مع الاعتراف بالتقدم الملحوظ والسرعة الظاهرة فى أعمال الإنقاذ الأخيرة .

وندع هذا لننظر فى تصرف ثالث يستحق التنويه حقيقة وهو سرعة مساعدة المصابين وسرعة تعويض المنكوبين . فهذه نقطة بارزة فى تصرف السلطات فى هذه المرة ، فلم يمض يومان حتى كان كل مصاب حى قد تناول جنيهين يستعين بها على مطالبه السريعة ، وحتى كانت كل أسرة منكوبة فى عائلها أو فى مورد رزقها قد نظر فى صرف التعويض الوافى لها لتواجه به المحنة الجديدة .

ويكفى فى بيان قيمة هذا العمل أن نذكر أن بعض التعويضات عن عارات العام الماضى لم تكن صرفت حتى اليوم بسبب بطء الإجراءات وتعقدها ، بل نخشى أن نقول بسبب بلادة الشعور الإنسانى الذى لا يتأثر لمثل هذه المصائب التى أصابت المواطنين من قبل فظلوا تحت رحمة الإجراءات البطيئة نحو عام !

إن هؤلاء الذين ينكبون فى عائلهم أو فى مورد رزقهم يتعرضون للتشرد والمذلة والكوارث المعيشية بعد ما أصابهم من الكوارث العائلية والمادية . فلا يقتصر الأمر عليهم ، ولكنهم يبرزون مثلا حيا أمام المواطنين الآخرين . مثلا مفزعا يزيدهم خوفا من الغارات وكوارثها التى تشرد الناس فلا يجدون من يغيثهم ، وهذا ينشر الذعر والفزع فى صفوف من لم يصابوا ويدعهم يتوقعون الشر فى كل لحظة . وهو شر مرعب لا يتمالكون أعصابهم لمواجهته وهم يرون آثاره فى سواهم ممن كانوا مثلهم أو أغنى منهم فباتوا بلا مأوى ولا معين .

فسرعة إسعاف المصابين وتعويض المنكوبين جديرة أن تخفف وقع المصاب عليهم وأن تبث الطمأنينة فى نفوس سواهم ، وترفع قوتهم المعنوية وتكسب قلوبهم الاتزان فى مواجهة الأحداث . وحقيقة إن التعويض المادى لا يرد على العائلات والأفراد أعزاءهم الذين فارقوا الحياة ، ولكنه يساعدهم على مواجهة الحياة بعدة من المال وعلى اتقاء التشرد والفضيحة . وليس هذا بالقليل الأثر فى نفوس المصابين والمعرضين للإصابة .

ثم إن هناك معنى لسرعة الاسعاف والتعويض وهو معنى التضامن الوطنى والاجتماعى الذى قامت به الحكومة نيابة عن الأمة ، والشعور بالتضامن بين المصابين والناجين مما يخفف وقع المصاب من جهة ويوقظ الوطنية فى النفوس من جهة أخرى ، فيحس المصابون أن لهم وطنا يرعاهم ويخف الى نجدتهم ، فعليهم إذن أن يرعوه وأن يخفوا الى نجدته ؛ ومن مصلحة الأمة وفى خلال الأزمات خاصة أن يقوى هذا الشعور النبيل فى نفوس الجميع .

ومما يزيد هذا المعنى وضوحا تبرع بعض المتبرعين بأموالهم ، وهذه التبرعات قليلة ولا ريب ، وتلك هى ناحية النقص البارزة فى المجتمع المصرى ، ويجب أن ننبه اليها هنا ، ففى مصر كثيرون ممن أنعم الله عليهم بالمال ووقاهم كوارث العدوات ، ولا ينقص ثروتهم فى شىء أن يتبرعوا بالألوف والمئات أو بالعشرات ، والكوارث العارضة التى قد تصيب فى الغد من نجوا منها اليوم مجال مناسب لتبرع ولإشعار الآخرين أن هناك تضامنا اجتماعيا بين أهل الوطن الواحد ، ولهذا الشعور مزاياه الوطنية والاجتماعية ، فوق ما فيه من معان إنسانية تشترى بقليل من المال !

وقد شاءت جلالة الملكة أن تشمل برعايتها السامية هؤلاء المنكوبين فكان هذا العطف السامى كبير الدلالة على حكمة هذا التوجيه الذى نأمل أن ينتبه اليه القادرون .

والتصرف الرابع الجديد هو إخلاء بعض مناطق الاسكندرية من السكان . فعلاوة على ما فى هذا التصرف من حقن لدماء السكان فى هذه المناطق وعدم تعريضهم للأخطار المرجحة ، فهو يقوى الثقة فى نفوس سكان المناطق الأخرى ويشعرهم بالاطمئنان الى أنهم فى مأمن نسبى ، وأن السلطات ساهرة عليهم وستقوم بترحيلهم حين تجد الخطر شديدا على مناطقهم .

وليس المقصود أن يعتمدوا على هذا الأمان ، فلم يعد فى الدنيا الآن أمان ، ولكن المقصود منه ألا يستسلموا للفزع وألا تتجسم الأوهام فى نفوسهم بسبب الرعب ، وأن يتصرفوا ساعة الإنذار بالغارة تصرف المالك لأعصابه ، المؤمل فى النجاة من الإصابة ، فليس أصعب من فقدان هذا الأمل ومن الفزع الذى يفقد المفزوع صواب التصرف .

ثم إن الإخلاء المنظم لبعض المناطق يبقى المهاجرين تلك الفوضى التى قاسوا آثارها فى العام الماضى حينما خرجوا يهرولون من البيوت هائمين على وجوههم فى الطرقات ، فى ذعر يشبه الجنون ، فتكدسوا بالألوف على أرصفة المحطات وفى الطرقات المؤدية إلى داخلية البلاد ، حتى لقد ذهلت الأمهات عن أطفالهن وترك الأخ أخاه والزوج زوجته والابن أباه وهام الجميع على وجوههم إلى أن وصل كل منهم إلى حيث ألقى به القطار أو حيث ساقته قدماه .

وبعد أن ذهبت السكرة وجدوا أنفسهم مشردين لا مأوى لهم يبيتون فيه ولا نقود معهم يعيشون بها ، فتعرض بعضهم للجوع وبعضهم للمرض كما تعرضت الكثيرات من الحرائر لفضائح خلقية ستظلهن فيما شذا ذ الآفاق وتجار الأعراض .

هذه ذكريات أليمة يجب أن يذكرها من يأخذهم هول الغارات فينسون أنفسهم ويهيمون على وجوههم . ويجب أن تذكرها السلطات فلا تقع فى غلطة الهجرة المباحة بلا ترتيب سابق ولا تدبير . فقبل أن تسمح لأحد بالهجرة من الأماكن المعرضة للخطر يجب أن تكون قد

أعدت لهم المهاجر المنظمة التى يستطيعون فيها الحياة ، وأن تكون قد اتخذت من الوسائل الصحية والمعاشية ما يكفل عدم انتشار الأمراض والأوبئة ، وعدم التعرض لنقص التغذية وقذارتها ، وعدم استغلال المستغلين للمهاجرين المساكين .

لقد وقعت فى هجرة العام الماضى كوارث يندى لها الجبين ، ومما يخجل أن بعض القائمين على شؤون المهاجرين فى القرى كانوا يجيعونهم ويقترون عليهم ويذيقونهم الذل والحرمان ليستغلوا هذا كله فى مصلحتهم بحقارة وخيانة للوطن وللإنسانية ، ويجب ألا تتكرر هذه المآسى بعد الآن .

وبهذه المناسبة نذكر حكمة التفكير التى أعادت وزارة الوقاية بعد إلغائها ، فالحوادث بالمرصاد ، ولا يدرى أحد كيف تصير الأمور ، والعالم كله يكتوى بنار الحرب وويلاتها ، وعلى الجميع أن يأخذوا حذرهم وأن يبذلوا جهدهم ، وألا يستكثروا الانفاق على وقاية الأرواح ، فهذا أوان الانفاق وأوان الاحتياط . وشعور الناس بأن وسائل الوقاية كافية وأن السلطات كذلك ساهرة ، هو الضمان الوحيد لحسن تصرفهم فى أوقات الشدة ولتماسك قواهم فى لحظة النكبة .

وقد بلغت النفقات المرصدة للوقاية فى ميزانية هذا العام نحو مليونى جنيه وهذا يدل على تقدير الاحتياطات الوقائية قدرها الصحيح .

وعلينا أن نتبع طريق الصراحة التى اتبعناها ، فلا نقلل من احتمال الأخطار ولا نبالغ كذلك فى الخوف منها ، ولحسن الحظ أن الشعب المصرى شعب متدين شعاره " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا " فإذا كان هذا هو شعار الجماهير ، فليكن شعار السلطات " اعقلها وتوكل " . وإن كان هذا لا يعفى كل فرد من اتخاذ العدة ومن الاحتياط الذى لا يعصم من القدر ولكن يوجد الطمأنينة ويثبت القلوب .

— — —